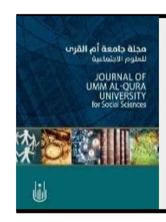


مجلة جامعة ام القرى للعلوم الاجتماعية

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jss



بريطانيا في وعي التراث الإسلامي: حدود المعرفة التاريخية والجغرافية حتى عصر الإدريسي (217هـ/ 833م - 560هـ/ 1165م)

Britain in the Awareness of Muslim Literature; Early Historical and Geographical Knowledge until the time of al-Idrīsī (217 AH/ 833 CE – 560 AH/ 1165 CE)

عوض بن عبد الله بن سعد بن ناحي

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك كلية العلوم والآداب– جامعة نجران

Awaḍ Abdullah b. Sa‘d b. Naḥee

Associate Professor of Islamic History, College of Sciences and Arts- Najrān University

تاريخ الاستلام:25-02-2023م　　تاريخ القبول:01-03-2023م

Received: 25-02-2023　　Accepted: 01-03-2023

ملخص

حظيت بلدان وشعوب القارة الأوربية باهتمام المؤلفين المسلمين في ظل تنامي العلاقة بين العالم الإسلامي وأوروبا النصرانية وازدهار حركة التأليف عند المسلمين. والواقع أن الجزر البريطانية كانت جزءاً من هذا الاهتمام رغم بعدها المكاني عن ديار الإسلام. ومن هذا المنطلق، تعالج الدراسة الحالية أسئلة رئيسية عن ماهية بريطانيا كما تصورها المؤلفون المسلمون، وأسباب اهتمامهم بها، والعوامل التي ساهمت في تطور تلك الصورة خلال زمن الدراسة حتى منتصف القرن 6هـ/ 12م حيث عاش الجغرافي الإدريسي.

حاولت الدراسة تتبع بدايات تكوين مفهوم "بريطانيا"، وتشكّل صورتها المبكرة في مصادر التراث الإسلامي منذ بدايات حركة التأليف في العالم الإسلامي، وتحديداً في الربع الأول من القرن 3هـ/ 9م حيث دُوِّنت أول إشارة إلى "مرطانية". لكن التصور الذي صاغه الإدريسي للجزر البريطانية كان جديراً بالنقاش، حينما أفرد مبحثاً مستقلاً عن بريطانيا فذكر جزرها الرئيسية، ووصف أهم مدنها وبلداتها العامرة في زمنه، وبعض أنهارها المعروفة، واجتهد في تحديد المسافات بين بعض تلك المدن والبلدات مع بعض الإشارات حول أوضاعها السياسية والاقتصادية. كل ذلك كان كافياً لإيضاح حجم الاهتمام الإسلامي المبكر بالجزر البريطانية، والذي ظل محصوراً في المعرفة الجغرافية في معظم كتابات المرحلة الزمنية التي تناولتها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الإسلام– بريطانيا – الجزر البريطانية– التراث الإسلامي– الإدريسي.

Abstract

Muslim authors paid a significant interest in European peoples and countries in the view of growing the relationship between Muslim World and Medieval Christian Europe and the flourish of authorship in Muslim scholarship. In fact, a part of the Muslim's interest was given to the British Isles in spite of it is far distance of Muslim lands. Therefore, the present article focuses on principle significant questions; what was Britain for early Muslim authors? and what were the most important reasons for interesting those Muslim authors in it, and what were the most effective factors contributing in developing such interest until the mid-6th AH/ 12th century CE when the geographer al-Idrīsī was alive.

Hence, the researcher has to investigate the beginnings of the term "Britain" in Muslim traditional sources since the establishment of authorship in the Muslim world, particularly during first quarter of the 3rd AH/ 9th CE century when the first reference to "*Marṭāniyah*" was recorded. The al-Idrīsī's account on the British Isles is worthy to examine since he sheds light on its major islands, described in detail the most important British towns and cities in his time, and some of its well-known rivers. He also tried to determine the distances between some of these cities and towns by the mile, with some references to political and economic conditions in the British Isles in his time. All that clarifies the extent of early Muslim interest in the British Isles, seeming limited to the geographical knowledge among most Muslim writings during the period under study.

Keywords: Islam- Britain – British Isles – Muslim sources- al-Idrīsī.

معلومات التواصل: **عوض بن عبد الله بن سعد بن ناحي**

البريد الالكتروني الرسمي: aaalasiri@nu.edu.sa

Doi: https://doi.org/10.54940/ss33558900

مدخل

ثمة اهتمام أولته مصادر التراث الإسلامي بأوروبا خلال العصور الوسيطة في أكثر من سياق يأتي في مقدمتها الاهتمام بالتأريخ للعلاقة بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي، وثانيها في ضوء توسع المعرفة الجغرافية عند الجغرافيين والرحالة العرب. لم تكن الجزر البريطانية (British Isles) غائبة عن ذلك الاهتمام، ولا عن تلك الرحلات التي وصلت إلى بقاعٍ مختلفة في القارة الأوروبية[1]. والجزر البريطانية في الواقع أرخبيل من الجزر قبالة الساحل الشمالي الغربي للقارة الأوروبية، أكبرها جزيرتي "بريطانيا العظمى" (Great Britain)، و"إيرلندا" (Ireland)، إضافة إلى مجموعة من الجزر الأصغر مساحة مثل جزر "أوركني"(Orkney)، و"سيلي"(Scilly)، و"مان" (Man)، و"هيبريدس" (Hebrides)، و"شيتلاند" (Shetland) وغيرها[2].

وقد وردت العديد من الإشارات المتفرقة عن هذه الجزر في مصادر التراث الإسلامي منذ الربع الأول للقرن الثالث الهجري، وتحديداً في كتابات الجغرافيين والرحالة، وهو ما استدعى اهتمام أكثر من دراسة ناقشت تلك الإشارات المبكرة لـ "بريطانيا" على وجه التحديد من حيث أقدميتها، وماهيتها، ومصادرها وأهميتها المعرفية. لكن دراسة غربية حديثة تناولت قصة أسر "هارون بن يحيى السوري" في مدينة عسقلان بفلسطين، تجعلنا نعيد النقاش حول مسألة السرد الإسلامي المبكر عن "بريطانيا". ففي نص رحلته الذي حفظ ابن رستة (توفي حوالي 300هـ/ 913م) جزءاً منه، يذكر هارون بن يحيى أنه حُمِل أسيراً إلى "القسطنطينية"، ثم انتقل إلى "رومية" (روما)، وظل متنقلاً بين أكثر من مدينة وبلد أوروبي، حيث أشار إلى: "... **برطينية** (بريطانيا) **وهي مدينة كبيرة على ساحل بحر المغرب ويتملك عليها سبعة من الملوك، وعلى باب مدينتها صنم إذا رام الغريب أن يدخلها نام فلا يمكنه دخولها حتى يأخذه أهل المدينة فيقفوا على مغزاه ومقصده في دخول المدينة، وهم قوم نصارى، وهم آخر بلاد الروم وليس ورائهم عمران**"[3]. ترى "كيتلين قرين" (Caitlin Green) التي درست هذا النص أنه يحمل كنزاً ثميناً يصوّب أكثر من مسألة جوهرية في تاريخ الجزر البريطانية نفسها، وفي مقدمتها الشكوك حول أن بريطانيا كانت مقسمة إلى سبع ممالك، حيث تضمن نص الرحلة أقدم إشارة صريحة إلى ما يعرف في التاريخ البريطاني الوسيط بـ "الممالك السبع" (The Heptarchy) التي قامت بين أواخر القرن الخامس والنصف الثاني للقرن التاسع الميلاديين[4]، فضلاً عمّا يحمله من أدلة غير مباشرة على الصلات التجارية بين الإمبراطورية البيزنطية والجزر البريطانية، أو بين الأخيرة ودولة الإسلام في الأندلس[5].

في الدراسة الحالية، ثمة أهمية مختلفة يحملها هذا النص في صياغة الوعي الإسلامي المبكر بماهية الجزر البريطانية، فقد تشكّل الاهتمام الإسلامي بالجزر البريطانية ضمن سياق أوسع يُعنى بتطور الاهتمام الإسلامي المعرفي بالقارة الأوروبية. هناك عدة أسباب أدت إلى صياغة هذا السياق، وعدة أدوات ساهمت في تطوره واتساع معلوماته مع مرور الزمن، وفي مقدمتها تلك المصادر التي ساهمت في نمو المعرفة التاريخية والجغرافية الإسلامية عن بريطانيا منذ ظهور حركة التأليف عند العرب والمسلمين، خاصة التدوين الجغرافي، وصولاً إلى عصر أهم جغرافي عربي مسلم مثّل ذروة الاهتمام الإسلامي المبكر بهذه البقعة الجغرافية البعيدة عن حدود العالم الإسلامي في ذلك الزمن، ونقصد به الشريف الإدريسي (توفي 560هـ/ 1165م) الذي ألف سِفره المهم *"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"* بدعم أحد أهم ملوك أوروبا في عصره، "روجر الثاني" (Roger II) ملك صقلية النورماني (توفي 548هـ/ 1154م).

كل ذلك السياق الواسع يأخذنا إلى مناقشة أسئلة مهمة حول ماهية أسباب، وجذور، وحدود المعرفة التاريخية والجغرافية للمؤلفين المسلمين عن بريطانيا منذ ظهور حركة التأليف عند المسلمين. ثم يأتي سؤال آخر يبحث فيما طرأ من تطور لافت على هذه المعرفة حتى عصر الإدريسي الذي خالط الأوروبيين وكتب عنهم.

وللإجابة على ما سبق، كان لابد من وضع إطار زمني وموضوعي لمجال الدراسة الحالية يبدأ من جذور وبدايات الاهتمام الإسلامي ببقعة جغرافية اسمها "بريطانيا"، وصولاً إلى عصر الإدريسي الذي مثّل ذروة الاهتمام الإسلامي ببريطانيا في العصور الإسلامية الوسيطة.

مرطانية، براطانية، أم برطينية؟ تكوين المفهوم في السياق الجغرافي

لطالما ارتبط ظهور الجزر البريطانية بوضوح في نصوص الجغرافيين والبلدانيين المسلمين في سياق نقاشاتهم عن مسائل وقواعد جغرافية محددة مثل خطوط الطول، ودوائر العرض، وأهم المسطحات المائية، والموانئ، والجزر، والبلاد المعمورة. والواقع أن أوائل نصوص التراث الإسلامي عن بريطانيا لم تخرج عن هذا السياق لكن ضبط المصطلح نفسه (أي بريطانيا وما يتعلق بها) أدى إلى خلاف صريح بين الباحثين حول أقدمها ذكراً للجزر البريطانية. فقد زعم المؤرخ البريطاني "دنلوب" (DM Dunlop) استناداً إلى الإيطالي "كارلو نلينو" (C. A. Nallino) أن كتاب *" صورة الأرض"* لعالم الرياضيات والجغرافي الشهير "محمد بن موسى الخوارزمي" (توفي بعد 232هـ/ 847م) تضمن أقدم إشارات إلى مواضع في بريطانيا بأسمائها الإغريقية استناداً إلى ما كتبه الجغرافي والفلكي الإغريقي "بطليموس القلوذي" (Claudius Ptolemy)[6]، مثل "**ألوى مدينة كبيرة على البحر**" (Aluya) والتي يزعم أنه يقصد بها بريطانيا نفسها، و"إبرقي" (Iburiqi) والتي تشير إلى مدينة "يورك" (York)، و"لندنن" (Lundinun) أي العاصمة "لندن"[7].

لم تجد هذه المزاعم اهتمام المؤرخين الغربيين الذين أتوا بعده، ففي مقاله الذي تناول بدايات اهتمام المؤلفين المسلمين بالقارة الأوروبية[8]، سلط "برنارد لويس"

(Bernard Lewis) الضوء على نص "ابن خرداذبة" (توفي نحو 280هـ / 893م) عن القارة الأوروبية، حيث زعم الأخير أن "أروفى" (أي أوروبا) تضمّ فقط "...**الاندلس والصقالبة والروم وفرنجة وطنجة والى حدّ مصر**..."[9]. لكن اللافت للنظر أن "لويس" تجاهل إشارة ابن خرداذبة المهمة عن "جزائر براطانية"، وانتقل مباشرة إلى نص "ابن رستة" عن "برطينية"[10].

تبنى "نزار هيرمس" (Nizar F. Hermes) نفس النص حينما زعم أن هارون بن يحيى، الذي حفظ لنا ابن رستة بعض تفاصيل رحلته، يعد أقدم رحالة مسلم أشار صراحة إلى "بريطانيا"[11]. لكن هذا الرأي لا يجد قبولاً عند "دانيال كونيغ" (Daniel G König) الذي يؤرخ بداية اهتمام التراث الإسلامي بالجزر البريطانية من ذلك النص الذي أشار فيه ابن خرداذبة إلى "جزائر براطانية" والذي سيرد النقاش حوله في الصفحات التالية[12].

الواقع أن هذا الخلاف يأخذنا إلى مشكلة معرفية مفادها أن تاريخ، وحضارة، وهوية شعوب الجزر البريطانية ظلت مجهولة لمعظم مصادر التراث الإسلامي المبكرة على اختلاف اختصاصاتها المعرفية (التاريخ، الجغرافيا، الأدب، المعاجم وغيرها) حتى وإن تضمنت إشارات جغرافية واضحة لأرض اسمها "بريطانيا". ورغم اكتشاف العديد من العملات ذات الطابع العربي الإسلامي في بريطانيا، وفي مقدمتها دينار "أوفا" ملك مرسيا الأنجلوسكسونية (Offa of Mercia)[13]، إلا أن مصادر هذه المرحلة الزمنية تكاد تخلوا من الحديث عن أية صلات تجارية بين العالم الإسلامي والجزر البريطانية. بل إن هذه المصادر لا تشير من بعيد أو قريب للملك الأنجلوسكسوني الذي كان ديناره العربي الإسلامي مثار نقاش طويل بين الباحثين حول حقيقة ديانة هذا الملك المثير للجدل[14].

كل ذلك يأخذنا إلى نتيجة عملية مفادها غياب هذا البلد (أي بريطانيا) وشعوبها، وتاريخها السياسي، والحضاري، والديني عن الوعي المعرفي العربي في هذه المرحلة المبكرة، بخلاف بلدانٍ وشعوبٍ أوروبية أخرى نجد عن أحوالها، وتاريخها، وتقاليدها إشارات مبكرة مثل الروم، واليونان، والفرنجة، والقوط، واللان، والصقالبة والروس[15].

إن عودة متأنية إلى كل ما كتبه الخوارزمي ومن بعده ابن خرداذبة تجعلنا نعيد النظر في ذلك السؤال الجوهري عن أقدم مصدر إسلامي تضمن إشارة صريحة وواضحة إلى موضع جغرافي اسمه "بريطانيا". رغم ما يعتري النسخة المطبوعة لكتاب "*صورة الأرض*" من صعوبات في قراءة مصطلحاتها، وافتقادها للشروحات وثبت المواضع والأعلام، إلا أن موضعاً آخر لم يناقشه "دنلوب" و " نلينو" في كتاب "*صورة الأرض*" يتضمن إشارة صريحة إلى " بحر مرطانية" كأحد تلك البحار المتصلة ببحر طنجة (المحيط الأطلسي)، وبحر برقة، وبحر افريقية (البحر المتوسط)[16]. وهو نص أعاد اقتباسه بعد قرن من الزمان مع بعض التعديلات مؤلف كتاب ""*عجائب الأقاليم السبعة*"[17]، الذي أشار إلى "بلاد مرطانية" في ضوء استعراضه لـ "**المواضع التي تكتب فيها حدود البلدان**" [18]. والأرجح أن هذه الإشارة اليتيمة تشير إلى بريطانيا في ظل تقارب المصطلح، لكنها لا تحمل أي محتوى تاريخي، أو جغرافي واضح.

أما ابن خرداذبة فقد ضمّن كتابه إشارة مهمة إلى "... **اثنتا عشرة جزيرة وهي الجزائر التي تسمّى جزائر براطانية**..." في معرض حديثه عن تلك البلدان المطلة على "...**البحر المُسمّى بالمحيط** ... "[19]. تبدو إشارة ابن خرداذبة هنا أكثر وضوحاً من الخوارزمي ذلك أنه يشير إلى الجهة التي تقع فيها بريطانيا، ويحدد حالتها الجغرافية بأنها مجموعة من الجزر، وهي كذلك وإن لم يكن هذا العدد دقيقاً، كما أنها معلومة سنجدها تتكرر لاحقاً كما سيرد في ثنايا الدراسة. لكن هذه الإشارة النادرة لم تتجاوز سياق المعرفة الجغرافية، أو حتى التعريف بسكان تلك البقعة، وهو ما قرره "دانيال كونيغ"[20].

من الواضح أن إشارتي الخوارزمي وابن خرداذبة المبكرتين بدتا خاليتين من أية مضامين تاريخية على خلاف ابن رستة الذي يورد أكثر من نص عن الجزر البريطانية. فرغم أن هذا الأخير لم يبتعد كثيراً عن السياق العام للمؤلفين المسلمين في زمنه والمتمثل في التركيز على المسائل الجغرافية، إلا أن ما يورده من إشارات تاريخية في غاية الأهمية كما فصلّت في ذلك "كيتلين قرين"[21]. على أن الملاحظ على النص الأول غلبة السرد الجغرافي على كثير من تفاصيله بدليل سرده للمواضع المطلة على "بحر أُوقيانوس" (المحيط الأطلسي) حيث تقع:"...**من ناحية الشمال اثنتا عشرة جزيرة تسمى جزائر برطينية**..."[22]. بل نجد أن السرد الجغرافي يتكرر في النص الثاني المنقول عن هارون بن يحيى، إذ غلب عليه وصف أحوال المدن، والموانئ، والمسالك التي وصلها أو حصل على معلومات عنها، باستثناء إشارته المقتضبة عن "الملوك السبعة". والملاحظ أن النص المتعلق برحلة هارون ابن يحيى رغم أهميته الاستثنائية لم يجد اهتمام معظم المؤلفين المسلمين المعاصرين له، أو حتى من عاشوا لاحقاً ممن سيرد ذكرهم في ثنايا الدراسة الحالية.

سنجد مؤلفاً معاصراً لابن رستة تحدث عمّا يخص فقط المحيط الأطلسي والبلدان المطلة عليه ومنها بريطانيا، حيث ترد رابع أقدم الإشارات المتوفرة عن بريطانيا في المصادر المتاحة في كتاب مختص بعلم الفلك ورصد حركة الكواكب. ففي معرض حديثه عن العمران الذي امتد إلى بقاعٍ كثيرة في زمنه وصولاً إلى " **إلى جزيرة ثولي التي في برطانية حيث يكون طول النهار الأطول عشرين ساعة** "[23]، أشار "ابن البتاني" (توفي عام 317هـ/ 929م) إلى أن "...**بحر أوقيانوس الغربي الذي يدعى المحيط لا يعرف منه إلا ناحية المغرب والشمال من أقصى أرض الحبشة إلى بريطانية** ..."[24].

تبيّن هذه الإشارات أن ابن البتاني لم يبتعد كثيراً عن واقع بريطانيا الفعلي جغرافياً فهي مجموعة جزر تقع في شمال المحيط الأطلسي، كما أن ساعات النهار بها تطول في أيام الصيف لتقترب من العشرين ساعة. غير أن معلوماته التاريخية بدت فقيرة للغاية على خلاف معارفه الجغرافية التي أظهر فيها وعياً متقدماً كما أسلفت. وسبب ذلك اعتماده على أكثر من مؤلف جغرافي وفي

مقدمتهم معاصره ابن رستة بدليل اقتباسه الحرفي لنفس النص الذي يشير إلى:"...**جزائر برطانية وهي اثنتا عشرة جزيرة ثم يبعد عن العمران فلا يعرف أحد كيف هو ولا ما فيه**..."[25].

والمدقق فيما كتبه الفلكي المسلم عن "بريطانيا" يستنتج بسهولة أنه اعتمد أكثر على ما دوّنه الجغرافي والفلكي الإغريقي "بطليموس"، خاصة وأنه أشار إليه صراحة في عدة مواضع من كتابه [26]. فقد أشار ابن البتاني لأول مرة إلى جزيرة "ثولي" (Thule) والتي لا يخلو النقاش حولها من السرد الأسطوري واختلاف المؤلفين في نفس الوقت، إلا أن الجغرافي المسلم تبنى رؤية "بطليموس" في صياغة تصوره عن هذه الجزيرة حينما اعتبرها واحدة من الجزر البريطانية[27]. ولعل المتصفح لكتاب بطليموس الآخر *"الجغرافيا"* (The Geography: Γεωγραφία) سيجد أنه قد أشار بالفعل إلى الجزيرة محل الجدل في مواضع كثيرة[28]. لكن أقدم ذكر لجزيرة "ثولي" ورد في مصدر إغريقي أقدم، وتحديداً في ما كتبه "بيثياس الماسيلي" (Pytheas of Massalia) في القرن الرابع قبل الميلاد[29]. إلا أن الخلاف لا زال قائماً حول تحديد موقعها الفعلي المختلف فيه أصلاً بين قائل أنها تقع في البلدان الإسكندنافية، وآخر يرجح أنها تقع في الجزر البريطانية، ولعل أهم أسباب هذا الخلاف فقدان كتاب "بيثياس الماسيلي"، على أنه من المهم التنويه هنا إلى أن جزيرة "ثولي" في تصورات الرواية الإغريقية كانت أبعد بقعة جغرافية في شمال الأرض[30].

وإذا ما انتقلنا إلى مؤلفين مسلمين لاحقين فإن نقاشاتهم في غالبها لم تخرج عن سياقات المعارف الجغرافية، وقليل من التاريخية، إذ سنجد أن نقاش الهمداني (توفي 334هـ/ 946م) حول "برطانيا" لم يخرج عن تحديده للمواضع الواقعة على دوائر العرض ابتداءً من "**الدائرة الموازية التاسعة عشرة**"، والتي تمر "...**بأقاصي ناحية الجنوب من بلاد برطانيا**... " وصولاً إلى "...**الدائرة الموازية الخامسة والعشرون**..."[31]. والملاحظ أنه بدا أكثر دقة وهو ينص على أن "**الدائرة الموازية الثانية والعشرون**" تمر بالموضع الذي أسماه بـ "...**بريغانطيس من بلاد برطانيا الكبرى**..."[32]، ويبدو أنه يشير هنا إلى بلدة "بريغ" (Breage) الواقعة في أقصى جنوب غرب جزيرة بريطانيا العظمى[33]. وفي تناوله لجنس ساكنيها، سنجد أن الهمداني يعتبر أن بريطانيا من "بلاد الصقالبة" إضافة إلى بلدان أوروبية أخرى مشهورة مثل "...**غلاطيا وجرمانيا وباسطرنيا وإيطاليا وغاليا وأبوليا وسقيليا وطورينيا وقالطيقي وسبانيا**... "، لكن تصوره لطبائع وعادات تلك الشعوب بدا سلبياً بشدة حينما زعم أن "...**سكانها في أكثر الأمر وحشيين متهورين، أخلاقهم قريبة من أخلاق السباع يعني متهورين لا دين لهم**"[34].

ولعل أول استنتاج نقرأه من هذه الإشارات أن الهمداني اعتمد في بناء معظم تصوره للجزر البريطانية على ما دوّنه بطليموس في كتاب *"المجسطي"* لذلك بدت معلوماته تفصيلية شبه مطابقة لما كتبه المؤلف الإغريقي[35]. أما الاستنتاج الثاني فيتمثل في أن الهمداني أبدى اختلافاً واضحاً مع ما دوّنه ابن رستة تحديداً عن سكان الجزر البريطانية بدليل تصوره السلبي تجاه أخلاق وديانة سكانها، حيث زعم أنهم شعب بلا دين مخالفاً بذلك ابن رستة الذي أشار صراحة إلى أنهم "قوم نصارى" كما سبق الإشارة إليه. لكن تصور الهمداني السلبي حول عادات وتقاليد شعوب الجزر البريطانية يمثل انطباعاً شائعاً تزخر به انطباعات مؤلفين مسلمين آخرين تجاه الصورة الأخلاقية والحضارية لشعوب أوروبا العصور الوسيطة[36].

وعلى كل حال فإن زعم الهمداني حول ديانة الشعب البريطاني لا يستقيم مع السرد التاريخي الكنسي الذي ينص على أن تاريخ انتشار النصرانية في الجزر البريطانية أقدم بقرون من عصر الهمداني، ولا يقل عن القرن السادس الميلادي حينما نجحت بعثة التنصير التي بعث بها البابا "غريغوري الأول" (Gregory I) في إعادة نشر النصرانية على نطاق واسع بين شعوب الجزر البريطانية، وأقامت كنائس وأبرشيات جديدة لتثبيت نفوذ الكنيسة هناك[37].

ومن الواضح أن من أتى لاحقاً من مؤلفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وتحديداً المسعودي (توفي 346هـ/ 957م) وصاحب كتاب "*حدود العالم*" المجهول (توفي بعد عام 372هـ/982م) اقتبسا النص الذي ذكر فيه ابن رستة أن ما وقع شمال المحيط الأطلسي يشير إلى:"...**اثنتي عشرة جزيرة تدعى جزائر برطانية بعضها عامرة والأخرى غير عامرة**..."[38]. وفي موضع آخر فإنها تمثل "...**آخر مدينة من الروم على ساحل بحر الأوقيانوس**..."[39]. ورغم زعمهما الاعتماد على بطليموس كمصدر لمعلوماتهما، إلا أنهما على الأرجح اكتفيا بالنقل عن ابن رستة مباشرة.

أما ابن الفقيه الهمذاني (توفي عام 365هـ/ 976م) المعاصر لهما فقد سجّل نصاً متناقضاً ومليئاً بالتصورات الإيجابية والسلبية في آن واحد حينما تحدث عن عادات وطبائع ساكني "**بريطانية**" فهم في رأيه "...**أعزاء غير خاضعين، يحسنون أخذ السلاح والعمل به، وهم أصحاب زي ولباس**..." لكنه اتهمهم في بقية النص بممارسة الشذوذ والزنا والفوضى الأخلاقية[40]. والواضح أن ابن الفقيه يتفق هنا مع الهمداني في تصوره السلبي وإن اختلفت الصيغة والمفردات. لكن الاختلاف الوحيد يتمثل في إشادة ابن الفقيه بالاستقلال السياسي للجزيرة البريطانية، وامتلاك سكانها مهارات القتال وهي مسألة طبيعية امتازت بها أوروبا العصور الوسطى بسبب واقعها السياسي الغير مستقر.

ويبدو أن ما دوّنه ابن الفقيه، وقبله الهمداني، لم يجد اهتمام من جاء بعدهما وتحديداً البكري الأندلسي (توفي 487هـ/ 1094م) الذي أعاد تكرار تصورات ابن خرداذبة، وابن رستة، وابن البتاني بقوله أن "...**برطانية الجزيرة العظمى**..." وبقربها "**إحدى عشرة جزيرة**" تمثل أهم منطقة مطلة على "بحر الظلمات" (المحيط الأطلسي) في أقصى الشمال، حيث تمثل جزيرة "ثولي" آخر مدينة عامرة في هذه البلاد[41]. والجدير ذكره أن البكري اعتمد تحديداً على

الهمداني في تحديد كثير من المواضع الجغرافية في جزيرة العرب في كتابه الآخر "*معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع* " وهو ما يرجّح اطلاعه على ما كتبه المؤلف اليمني عن الجزر البريطانية، لكنه فضّل نقل ما دوّنه ابن خرداذبة، وابن رستة، وابن البتاني.

إلا أن نصاً قصيراً أورده البكري عن "بلاد الأنقلش" يؤكد اطلاعه على مصدر آخر لم يذكره، غير أن وصفه بدا غامضاً ومضطرباً إذا زعم أن " ... **الأنقلش وهم جنس من الأتراك نزلوا مصاقبين** (أي ملاصقين) **للصّقالبة، وحدّ بلدهم في الغرب بلد بويرة وبلد بويصلاو** ..."[42]. ثم عاد في آخر الكتاب ليشير إليها في معرض حديثه عن حدود "**بلاد الإفرنج**" التي تمتد إلى "...**الجبل المعترض في الجوف إلى البحر المحيط، ويتّصل بالصقالبة بلاد المجوس المعروفين بالأنقلش**. "[43]. من المرجح أن البكري قصد هنا الإشارة إلى "الإنجليز"، لكنه اعتبرهم من الشعوب التركية في المرة الأولى، بينما عدهم في إشارته الثانية من شعوب "الفايكنج" (Vikings) الذين كان يسميهم أهل الأندلس بـ "المجوس" في ذلك الزمن[44]. وبناءً على ذلك، يمكن اعتبار البكري أقدم مؤلف مسلم يشير إلى الإنجليز كأحد الشعوب الأوروبية ولكن دون أن يصل إلى تعريف واضح وصريح لأصولهم العرقية، وبقعتهم الجغرافية.

ويتضح مما سبق، أن المؤلفين المسلمين استخدموا أكثر من مفردة متقاربة في الإشارة إلى "بريطانيا" دون أن يتفقوا على مصطلح موحّد مثل تعريفهم بأرض الروم أو الفرنجة على سبيل المثال لا الحصر. لكن أهم نتيجة يمكن الوصول إليها تتمثل في أنه رغم أن بعض هؤلاء المؤلفين المسلمين قدّم معلومات متناثرة ولافتة معتمداً على مصادر استثنائية مثل رحلة هارون بن يحيى، إلا أن تراث بطليموس الجغرافي أدى الدور الأهم في صياغة تصوراتهم عن الجزر البريطانية حتى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. لذلك بدت معارفهم التاريخية عن بريطانيا محدودة لا تتجاوز ما نقله بعض الرحالة من انطباعات ومعلومات مقتضبة كتلك التي رواها ابن رستة عن هارون بن يحيى.

"برطانية" في تصورات الإدريسي: إعادة صياغة المعرفة الجغرافية

ثمة تصوّر مختلف يقدمه لنا الإدريسي عبر تفاصيل غزيرة ومعلومات مهمة لا نكاد نقرأها عند من سبقه من الجغرافيين المسلمين، وتحديداً عن الجزر البريطانية موضوع البحث الحالي. ولعل سبب ذلك يتمثل في شخصية الإدريسي نفسه ومسيرته المعرفية والمهنية التي جعلت منه علاّمة عصره، فقد ولد وعاش حياته المبكرة في سبتة بالمغرب، ثم انتقل إلى الأندلس واستقر بقرطبة حقبة من الزمن، ونال قدراً جيداً من التعليم، قبل أن ينتقل إلى المشرق الإسلامي فطاف مصر، والشام، والحجاز، وآسيا الصغرى. ولاحقاً قضى الادريسي مرحلة مهمة من حياته متجولاً في القارة الأوروبية حتى استقر في جزيرة صقلية وحظي برعاية ملكها النورماندي "روجر الثاني"، حيث رسم له خريطة العالم، وألّف كتابه الشهير "*نزهة المشتاق*" الذي جمع فيه عصارة خبرته وحصيلته المعرفية الضخمة من ملاحظاته الشخصية، أو مصادره المستقلة[45].

فلا غرابة إذاً أن تحظى كتابات الإدريسي عن الجزر البريطانية باهتمام لافت في الدراسات الحديثة نظراً لما تضمنته من تفاصيل غزيرة عن الأحوال الاقتصادية والحضارية عن هذه المنطقة في عصر المؤلف، فقد تميزت بـ "...**المقدرة والمهارة التي اقتضتها الظروف العلمية لذلك العهد**"[46]، فهو في أحد الآراء يماثل في تأثيره "**جغرافيا استرابون**" (Strabo's *Geographica:* Γεωγραφικά)، وفي رأي آخر "**يحتل مركز الصدارة بين كل ما أُلف في الجغرافيا في العصور الوسطى**"[47].

دَوّن الإدريسي أكثر من نص عن " **أسماء البلاد البرطانية** " في زمنه، حيث استهل تلك النصوص بذكر عدة مدن معظمها مطلة على البحر مثل "...**نانطس، ورينش، وشنت مجيال، ودول، ودنام، وشنت مهلو، وشنت مثاو، ولنيونش، وكرنتين، وكنبلرين، وفينش وردون، وباتس**..."[48]. اللافت أن "بيستون" (Beeston) تجاوز هذا النص في دراسته التحليلية عن نصوص الإدريسي التي سترد معنا في ثنايا هذه الدراسة[49].

إن المدقق في المصطلحات والمواضع الجغرافية بأوروبا سيدرك سبب تجاوز "بيستون" للنص السابق، فإذا ما تمعنّا في أسماء هذه المدن فإن ثمة مشكلة تواجهنا في تحرير المصطلح ومقابلته على أصله الأوروبي، أو حتى في تحديد مواقعها الجغرافية. والواضح أن الإدريسي يشير هنا إلى عدة مدن غرب فرنسا، وبعضها مطلة على الشق البحري المقابل للجزر البريطانية مثل مدينة "نانت" (Nantes) الشهيرة والتي أشار إليها باسم "نانطس"، و "رين" (رينش: Rennes)، و"فان" (فينش: Vannes)، وجزيرة "جبل القديس ميشيل" (شنت مجيال: Mont-Saint-Michel) بساحل النورماندي، ومدينة "دول" (Dole) المعروفة باسمها إلى اليوم، وبلدة "ردون" (Redon) المحتفظة باسمها إلى اليوم. بعد التدقيق في الجغرافيا البلدانية التي تشمل معظم هذه البلدات اتضح لنا أن ثمة اسم جامع يشملها ألا وهو إقليم "بريتاني" (Brittany) الذي لا زال معروفاً في التقسيم الإداري لفرنسا حتى اليوم[50]. ويبدو أن "بريتاني" الفرنسية التبست على المؤلف فأطلق عليها "برطانية" دون أن يميزها عن الجزر البريطانية. ولعل الملاحظ أن الإدريسي أشار لها في موضعٍ آخر باسم "...**عدوة البحر من الأرض الكبيرة**..."[51].

كل ذلك يبين لنا سبب عدم اهتمام "بيستون" بهذا النص، وانتقاله إلى وصف الإدريسي للجزر البريطانية حيث استهل حديثه بوصف "إنجلترا" (إنقلطارة)، فقد ذكر أن "...**بها مدائن عامرة، وجبال شاهقة، وأودية جارية، وأرض سهلة، وفيها خصب زائد. ولأهلها جلادة وعزم وحزم والشتاء بها دائم، وأقرب بر إليها وادي شنت من أرض إفلاندرش، وبين هذه الجزيرة والبر الكبير مجاز سعته اثنا عشر ميلاً**."[52]. ويرى "بيستون" أن الإدريسي يصف هنا المنطقة الواقعة بين جنوب شرق إنجلترا إلى "**إفلاندرش**" ويقصد به مقاطعة "فلاندرز" (Flanders) البلجيكية اليوم، حيث يفصل بينهما "القنال الإنجليزي" (English Channel) الذي كناه بـ "المجاز"، وجنوبها تقع

بلدة **"وادي شنت" الفرنسية (ويسانت: Wissant)**[53]، وهي ميناء صغير تبحر منه "...**المراكب الداخلة إلى جزيرة إنقلطارة...**"[54].

والواضح من وصف الإدريسي حرصه على ذكر كثير من المدن الإنجليزية العامرة في زمنه، والتنويه بخصوبة أرضها الزراعية، وجمال تضاريسها فضلاً عن طقسها البارد معظم أيام السنة. واللافت أيضاً أن المؤلف قد خالف الصورة السلبية التي قدمها الهمداني وابن الفقيه عن سمعة سكان الجزر البريطانية، إذ نجده يشيد بـ **"جلادة وعزم وحزم"** شعوب الجزر البريطانية (الأنجلو-سكسونيون: The Anglo-Saxons).

لكن الأهم والأبرز في وصفه الجغرافي يتمثل في الحرص الدائم على ذكر المسافة بين كل مدينة وأخرى مثل حديثه عن "... **مدينة سهستار وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً، وهي مدينة حسنة عامرة على نهر كبير يأتيها من جهة الشمال فيصب في البحر بشرقيها، ومن هذه المدينة إلى مدينة غرهم على الساحل ستون ميلا**"[55]. ويرجح "بيستون" أن "سهستار" التي عناها الإدريسي تشير إلى مدينة "دورشيستر" (Dorchester) الواقعة في الجنوب الغربي بالقرب من مصب نهر "فروم" (Frome)، وذات الحال ينطبق على "غرهم" التي يرى أنها ليست سوى بلدة "ويرهام" (Wareham)[56].

وفي الشطر التالي من النص، يفصّل الإدريسي في وصف سلسلة مدن، وبلدات، وأنهار في الجهة الجنوبية من إنجلترا وصولاً إلى مدن الساحل البريطاني الجنوبية والجنوب شرقية قائلاً:"... **ومن مدينة سهستار أيضاً إلى مدينة سلابرس في البر من جهة الشمال ستون ميلاً، وهي مدينة جليلة على شرقي النهر الذي يصب في مدينة سهستار. ومن مدينة غرهم أيضا إلى طرف هنتونة، وهو قرطيل يدخل في البحر خمسة وعشرون ميلاً، وعلى طرفه من ناحية المشرق مدينة هنتونة، وهي مدينة عامرة ويصب بها من ناحية شرقيها نهر عونسترة. وعونسترة مدينة برية وبين هنتونة وعونسترة ثمانون ميلاً، ومن عونسترة إلى سلابرس أربعون ميلاً في جهة الغرب، ونهر عونسترة يخرج من جبل معترض في وسط الجزيرة. ومن هنتونة إلى مدينة شرهام ستون ميلاً وهي على نحر البحر، وهي مدينة جليلة متحضرة فيها إنشاء وعمارة. ومنها مع الساحل إلى مدينة هستينكش خمسون ميلاً، وهي مدينة مقدرة الكبر كثيرة البشر عامرة جليلة ذات أسواق وفعلة وتجار مياسير. ومنها مع الساحل شرقاً إلى مدينة دبرس سبعون ميلاً، وهي أيضا مدينة كبيرة وهي على رأس المجاز الذي يجاز منه إلى البر المتصل بالأرض الكبيرة.**"[57].

الواضح أن هذا النص يتضمن وصف مدن لا تزال قائمة إلى اليوم ولكن بمسميات العصور الوسطى، أو "الأنلجو-سكسونية" (Anglo-Saxon)، إذ نجد المؤلف يذكر "درته موده"، ويقصد بها بلدة "دارتموث" (Dartmouth)، الواقعة بمقاطعة "ديفون" (Devon) في جنوب غرب إنجلترا، وبلدة "يارموث" (Yarmouth) المطلة على الساحل الغربي لإنجلترا والتي نعتها الإدريسي بـ "جرنمودة" (Gernemutha)، ثم "سلابرس" أو "سالزبري" (Salisbury) وهي مدينة إنجليزية تقع في مقاطعة "ويلتشير" (Wiltshire) بغرب إنكلترا.

ثم يُعرّج المؤلف على مدن الساحل الجنوبي فيذكر "هنتونة " التي تشير إلى مدينة "هانتون" (Hantune)، أو ما يعُرف اليوم بـ "ساوثهامبتون" (Southampton) الساحلية الشهيرة، حيث يصب بها "نهر عونسترة "، أي نهر "وينشستر" (Winchester River) والذي يسمى اليوم بنهر "تست" (Test). ومنها ينتقل إلى الجنوب الشرقي إلى بلدة "شرهام " ويقصد بها "شورهام" (Shoreham)، والتي تُعد اليوم إحدى الضواحي الغربية لمدينة "برايتون" الساحلية (Brighton)، ثم بلدة "هستينكش" (هيستنغ: Hastings) وكلاهما تقعان اليوم ضمن مقاطعة "شرق ساسكس" (East Sussex) بجنوب لندن حالياً. لكن اللافت أنه لم يذكر المدينة الأشهر والأكبر والتي تعتبر اليوم عاصمة مقاطعة "شرق ساسكس"، ونقصد بذلك "برايتون" والتي كانت مستوطنة صغيرة في ذلك الوقت[58].

ومن المدن الساحلية ينتقل الإدريسي إلى الداخل الإنجليزي ومدنه الكبرى قائلاً:"... **فمن مدينة دبرس** (دوفر: Dover) **إلى موقع نهر لوندرس** (نهر لندن: The River of Londres) **في البحر عشرون ميلاً، ومن موقع هذا النهر إلى مدينة جرنموده** (يارموث: Yarmouth) **المذكورة أربعون ميلاً، فذلك من مدينة دبرس إلى جرنموده على البحر ستون ميلاً. ونهر لوندرس اسمه رطانزة** (التايمز: Thames)**، وهذا النهر كثير الجري كثير الماء وجريه من وسط الجزيرة فيصل إلى مدينة غركة فرت** (أكسفورد: Oxford) **على مقدار خمسين ميلاً ويجتاز بجنوب مدينة غركة فرت فيمر منها إلى مدينة لوندرس** (لندن: London) **المذكورة أربعين ميلاً، ثم يمر من لوندرس فيصب في البحر كما ذكرناه. ومن مدينة جرنموده إلى مدينة نرغيق** (نورويتش: Norwich) **تسعون ميلاً، ومدينة نرغيق مرتفعة عن البحر مقدار عشرة أميال. ومن مدينة نرغيق إلى مدينة أغريمس**(جريسمبي : Grimsby) **على البحر ثمانون ميلاً، فذلك من مدينة جرنموده إلى أغريمس على البحر مائة ميل وخمسون ميلاً، ومن مدينة جرنموده المذكورة ينعطف البحر آخذا في جهة الشمال على استدارة، ومن مدينة أغريمس المذكورة إلى مدينة أفرويك (يورك : York) ثمانون ميلاً، وهي على بعد من البحر المظلم وعلى طرف جزيرة سقوسية** (سكوتيا: Scotia) **المتصلة بجزيرة إنقلطارة** (إنجلترا : England) **وهي جزيرة ذات طول آخذة في شمال الجزيرة الكبيرة وليس بها عمارة ولا مدينة، ولا قرية وطولها مائة وخمسون ميلاً. ومن مدينة أفرويك إلى موقع نهر بشكه** (بوسطن: Boston) **مائة وأربعون ميلاً وبشكه حصن على هذا النهر مرتفع عن البحر ثنا عشر ميلاً. ومن مدينة أغريمس المذكورة قبل إلى مدينة نقولس**

(لينكولن: Lincoln) **في البر مائة ميل والنهر يشق وسطها وينصب منها إلى مدينة أغريمس فيصب بجنوبها في البحر كما ذكرناه. ومن نقولس البرية إلى مدينة أفرويك أيضا تسعون ميلاً ثم إلى مدينة دونالمه** (درم: Durham) **ثمانون ميلاً شمالا على بعد من البحر. ومن طرف جزيرة سقوسية الخالية إلى طرف جزيرة إرلاندة مجريان في جهة الغرب"**[59].

يعكس هذا النص وعياً متقدماً، ومعرفة دقيقة بأهم مدن وبلدات الداخل الإنجليزي زمن الإدريسي والتي لا تزال قائمة إلى اليوم. بل تجاوز ذلك إلى الاجتهاد في تحديد المسافات بين معظم تلك المدن، فضلاً عن وصف أهم وأشهر أنهار بريطانيا حتى يومنا هذا، وهو نهر التايمز الذي يقسّم العاصمة البريطانية لندن إلى شطرين. وعلى الرغم من أن هذا النص يزخر بذكر العديد من المدن والبلدات كما سبق ذكره، إلا أنه لم يتضمن الإشارة إلى مدن بريطانية شهيرة وكبرى اليوم مثل "مانشستر" (Manchester)، و"بيرمنجهام" (Birmingham)، و"نوتنجهام" (Nottingham)، و"شفيلد" (Sheffield)، و"ليستر" (Leicester). وباستثناء مدينة "ليستر" التي تعد من أقدم المدن الإنجليزية، فالأرجح أن تاريخ بعض هذه المدن الحديث نسبياً كان السبب في عدم ورودها في نص الإدريسي، ذلك أن بعضها كانت لا تزال في ذلك الوقت مجرد قلاع، أو أسواق، أو قرى صغيرة تحت حكم النبلاء الانجليز[60].

ومن إنجلترا ينتقل الإدريسي إلى شمال الجزر البريطانية حيث أشار إلى إيرلندا باسم "جزيرة إرلاندة الكبيرة"، ومملكة اسكتلندا (Scotland) في القرن الثاني عشر الميلادي باسم "إسقوسية" (Scotia)، وشمالها باسم "رسلاندة" والتي شكلت بحسب رأي "بيستون" و"ستيفنسون" (Stevenson) كياناً مستقلاً يمتد بين شمال غرب اسكتلندا والمجرى المائي المعروف بـ "غريت غلين" (The Great Glen) الواقع في أقصى شمال بريطانيا أو ما يعرف اليوم بـ "المرتفعات الاسكتلندية" (The Highlands of Scotland)، ثم جزر "نرباغة" التي رجح "بيستون" من وصف موقعها الجغرافي أنها جزر "أوركني"[61].

وعلى خلاف سرده التفصيلي لجغرافيا إنجلترا، بدا وصف الإدريسي لإيرلندا موجزاً، ومضطرباً في نفس الوقت، وهو ما يتبين في قوله: "... **وجزيرة إرلاندة كبيرة جدا بين طرفها الأعلى وبرطانية ثلاث مدائن وبها قوم يسكنونها وكانت المراكب تجتاز بها وتحط عليها وتشتري منها العنبر والحجارة الملونة فوقعت بين أهلها شرور وطلب بعضهم أن يملك عليهم وحاربهم بأهله فحاربوه فوقعت العداوة لذلك بينهم فتفانوا وانتقل بعضهم إلى عدوة البحر من الأرض الكبيرة فخربت مدائنهم ولم يبق أحد منهم."**[62].

يبين هذا النص تصوّراً جيداً وصل إليه الإدريسي، إذا بدا مستوعباً أن إيرلندا جزيرة مستقلة عن بريطانيا العظمى، إلا أنه لم يذكر بصراحة أهم مدنها، بل انتقل مباشرة إلى سرد أهم الجزر البريطانية الأخرى، فمن:".. **طرف جزيرة إنقلطرة إلى جزيرة دنس** (سيلي: Scilly) **مجرى**[63]. **ومن طرف إسقوسية في جهة الشمال إلى جزيرة رسلاندة ثلثا مجرى وبين طرف جزيرة رسلاندة وطرف جزيرة إرلاندة الكبيرة مجرى وكذلك من طرف جزيرة رسلاندة في جهة الشرق إلى جزيرة نرباغة...**"[64].

ويبدو أن وصف الإدريسي المختصر هنا يعكس فقر مصادره عن إيرلندا، واسكتلندا، رغم إشارته الصريحة إلى أحد أهم مصادره، والمتمثل في إحدى مؤلفات المسعودي "***كتاب العجائب*** "، والذي يشير على الأرجح إلى كتابه الموسوعي المفقود "***أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران*** "[65]، إلا أن معلوماته بدت مضطربة فلا هو ذكر أسماء المدن الإيرلندية الثلاث كما أسلفنا، ولا هو ذكر لنا أطراف النزاع السياسي الذي وقع في إيرلندا وأدى إلى حركة نزوح إلى البر الكبير على الأرجح، ولا حتى زمن وقوعه، ويبدو أن سبب ذلك شح معلومات المسعودي نفسه.

ومن كل ما سبق، يتضح من هذا السرد الجغرافي التفصيلي أن الإدريسي عكس وعياً جغرافياً متقدماً بالجزر البريطانية لم يسبقه إليه أحد من المؤلفين المسلمين السابق ذكرهم، حيث لا نجد ذكراً لمعظم المواضع التي أشار إليها الإدريسي في كتاباتهم. فقد فصّل في ذكر مدن إنجلترا كثيراً. بل نجد أنه أبدى حرصاً بالغاً على ذكر المسافات بين تلك البلدات والمدن بالأميال، وتحديد الجهات الواقعة فيها، وأهم تضاريسها الجغرافية من أنهار، وجبال، ووديان ونحوها. لكن اسكتلندا وإيرلندا لم تحظى بنفس التفاصيل التي حظيت بها إنجلترا ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى شح مصادره.

بالإضافة إلى ذلك، فقد اتضح أن استيعاب الإدريسي للأحوال الاقتصادية، والسياسية، والدينية لبريطانيا لم يضاهي معرفته الجغرافية، إذ بدا وصفه لتلك الجوانب مضطرباً بوضوح، ومختصراً للغاية، إن لم يكن معدوماً في مواضع كثيرة، فنجده يشير إلى بعض الصراعات السياسية دون أن يسمي الأطراف، والأنشطة الاقتصادية دون أن يفصّل في البضائع والأسعار والعملات ونحوها. بل لم نجده يذكر اسم حاكم أو كيان سياسي من تلك الممالك التي قامت على الأراضي البريطانية. لكن ما يورده من تفاصيل حوت أسماء مدن، وبلدات، ومواضع ترد لأول مرة عند مؤلف مسلم يؤكد بلا شك اعتماد الادريسي على مصادر أخرى متنوعة، بعضها شفهي والآخر مكتوب، والأرجح أن كثيراً من مصادره الشفهية زارت الجزر البريطانية لأغراض تجارية في غالب الأحيان.

لكن سؤالاً جوهريًا يطُرح هنا حول سبب اهتمام الإدريسي بوصف الجزر البريطانية وانجلترا تحديداً. الإجابة الأرجح تتمثل في سببين رئيسيين، أولهما يتمثل في مصادر الإدريسي نفسه، إذ يبدو أنه استفاد من وجوده في البلاط النورماني، حيث يفد الكثير من التجار والرحالة الأوروبيين[66]، فضلاً عن رجال الدولة في بلاط الملك "روجر الثاني"، فالجزر البريطانية ليست بغريبة عليهم ومعرفتهم بها قديمة تتصل بأسلافهم الذين وصلوا إليها وحكموا أجزاءً منها منذ أن غزاها "وليم الأول" (William I) الذي تسميه المصادر الأوربية بـ "وليم

الفاتح" (William the Conqueror) واستولى على الحكم فيها سنة 1066م[67]. أما السبب الثاني فربما يكون مرده رغبة الملك النورماندي "روجر الثاني" الذي حرص على ما يبدو على استثمار قدرات الإدريسي المعرفية لتكوين ما يشبه قاعدة بيانات جغرافية لجواره الأوروبي ومن ضمنها الجزر البريطانية.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة التصوّر المبكر لمصادر التراث الإسلامي عن بريطانيا منذ بدء حركة التدوين عن المسلمين حتى عصر الجغرافي الشهير الإدريسي الذي شهد كتابة أول مبحث مستقل عن الجزر البريطانية في زمنه. حيث اتضح أن تطوّر صورة الجزر البريطانية في مصادر التراث الإسلامي المبكر كان جزءاً من سياق عنايتها بالقارة الأوروبية والذي كانت له أسبابه التي صاغت بداياته، وعوامل فاعلة ساهمت في تطوره المعرفي بمرور الزمن. لذلك وجّهت الدراسة عنايتها لبحث تلك الأسباب والعوامل ومدى تأثيرها على تطور الوعي الإسلامي بماهية بريطانيا خلال زمن الدراسة.

وقد تبيّن أن مصطلح "بريطانيا" وكل ما يتصل بها (إنجلترا – الانجليز – اسكتلندا وغيرها) ظل منسياً في مصادر التراث الإسلامي على اختلاف اهتماماتها حتى الربع الأول من القرن الثالث الهجري حينما وردت أقدم إشارة مباشرة إلى "بريطانيا" عند الخوارزمي. بل إن الاهتمام بالجزر البريطانية ظل مقتصراً في الغالب على ما دوّنه كثير من الجغرافيين والرحالة المسلمين طيلة المرحلة الزمنية للدراسة. وقد بدا أن عناية المؤلفين المسلمين بمسائل جغرافية رئيسية مثل خطوط الطول، ودوائر العرض، وأهم البلدان المعمورة، والمدن، والموانئ، والجزر والمسطحات المائية أهم الأسباب المبكرة لصياغة ذلك الاهتمام بدليل أن نصوص ابن خرداذبة، وابن رستة المبكرة عن بريطانيا جاءت في معرض حديثهما عن أهم البلدان المطلة على المحيط الأطلسي. والملاحظ أن هذا السبب ظل ماثلاً فيمن جاء بعدهما من جغرافيين مسلمين مثل ابن البتاني، والهمداني، والمسعودي، وابن الفقيه الهمذاني، وصولاً إلى أبي عبيد الله البكري الأندلسي. والنتيجة التي لا يمكن تجاهلها هنا تتمثل في أن تراث بطليموس ظل المصدر الرئيس لهؤلاء الجغرافيين المسلمين، فضلاً عن مصادر ثانوية فُقدت نصوصها الأصلية مثل "رحلة هارون بن يحيى"، وكتاب "أخبار الزمان" للمسعودي. وهو ما يفسر استنتاجاً آخر لوحظ على مجال المعرفة التاريخية عند المؤلفين المسلمين مقارنة بنظيرتها الجغرافية، حيث ظلت في طابعها العام محدودة ولم تحرز تطوراً نوعياً طيلة زمن الدراسة مثل ذلك الذي تحقق على يد الإدريسي كما أسلفنا. ربما يكون سبب ذلك أن تاريخ الجزر البريطانية بقي مجهولاً عند المؤلفين المسلمين مقارنة بتواريخ أمم أوروبية أخرى مثل اليونان، والرومان، والفرنجة.

لكن مرحلة الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي (بلاد الشام ومصر) والأندلس وما أدت إليه من زيادة الاتصال الفكري بين الإسلام وأوروبا يدعو إلى التساؤل عن أثر ذلك على المجال المعرفي الإسلامي تجاه بريطانيا، خاصة إذا ما علمنا أن الإنجليز ساهموا في الحملات الصليبية على المشرق العربي ووصلوا إلى بلاد الشام، فضلاً عمّا يروى حول اتصالاتهم المباشرة بالممالك النصرانية الاسبانية في الأندلس[68]. كل ذلك يدعو لدراسة ما دُوّن في مصادر التراث الإسلامي المتأخرة بداية من عصر الحروب الصليبية حتى أواخر الوجود الإسلامي في الأندلس الذي شهد انطلاقة ما سمى بحركة الاكتشافات الجغرافية.

ملحق الخرائط



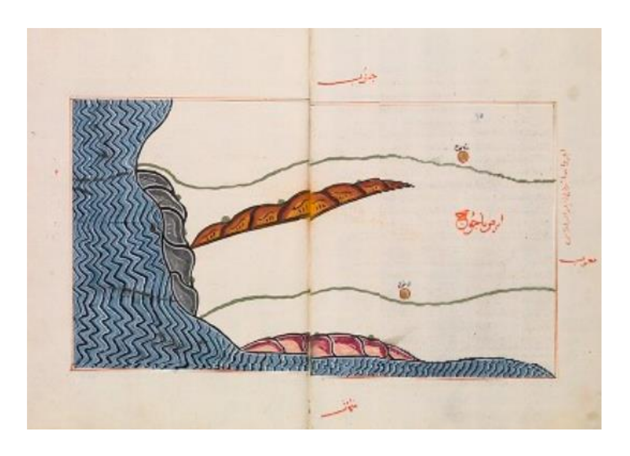
1: خريطة الإدريسي لشرق إنجلترا، وجزء من شمال فرنسا وألمانيا (مقتنيات مكتبة بودليان– أكسفورد: Fol. 281b-282a)

https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/18f7b2e7-2d79-4d17-82c7-b0a4c27f9fc9/ (access in 18 -11- 2022)



2: خريطة إنجلترا حتى حدودها الشمالية التي رسمها الإدريسي (مقتنيات مكتبة بودليان– أكسفورد: fol. 278b-279a)

https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/bfd09991-7be7-4ccf-8c41-63164ff5fd21/ (access in 18 -11- 2022)



3: شمال وغرب إنجلترا (مقتنيات مكتبة بودليان– أكسفورد: fol. 310b-311a)

https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/17c19570-6d08-40b0-b026-bb16ad77305b/ (access in 18 -11- 2022)



4: خريطة الإدريسي لجزيرة ايرلندا (مقتنيات مكتبة بودليان– أكسفورد: fol. 308b-309a)

https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/636369c4-8e8b-4ace-8b99-c44643cb5975/ (access in 18 -11- 2022)

الحواشي والتعليقات

* يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير لجامعة نجران ممثلة في عمادة البحث العلمي على دعمها هذا البحث في جميع مراحل كتابته حتى إتمامه ضمن المشروع البحثي رقم: NU/RG/SEHRC/12/5.

1 مثل رحلة مسلم الجرمي إلى بلاد الروم، ورحلة ابن فضلان إلى بلاد البلغار والروس، ورحلة هارون بن يحيى السوري إلى القسطنطينية وروما، ورحلة إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي إلى أوروبا الغربية والتي وصلت إلى ألمانيا والتشيك. انظر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ***المسالك والممالك***، (ليدن، بريل، 1889م)، ص 105. ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد، ***رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة***، (أبو ظبي، دار السويدي، ط1، 2003م). المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، ***التنبيه والإشراف***، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، 1357هـ/ 1938م)، ص 162. كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش، ***تاريخ الأدب الجغرافي العربي***، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د.ت)، القسم الأول، ص 191– 191. العظمة، عزيز العظمة، ***العرب والبرابرة المسلمون والحضارات الأخرى***، (رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 1991م)، ص 42.

2 Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "British Isles". *Encyclopedia Britannica*, 23 Oct. 2022, https://www.britannica.com/place/British-Isles . Accessed 07 December 2022.

3 ابن رستة، أحمد بن عمر، ***كتاب الأعلاق النفيسة***، (ليدن، بريل، 1893م)، ص 130.

4 Britannica, "Heptarchy", Encyclopedia Britannica, 25 Aug. 2022, https://www.britannica.com/topic/Heptarchy. Accessed 07 December 2022.

5 Green, Caitlin, ***Britain, the Byzantine Empire, and the concept of an Anglo-Saxon 'Heptarchy': Harun ibn Yahya's ninth-century Arabic description of Britain***. Online, https://www.caitlingreen.org/2016/04/heptarchy-harun-ibn-yahya.html

6 Dunlop, Douglas M. "The British Isles according to medieval Arabic authors", ***The Islamic Quarterly*** 4 (1957): pp. 11-28.

7 الخوارزمي، محمد بن موسى، ***كتاب صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار***، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون مزيك، (فينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1345هـ/ 1926م)، ص 34– 35.

8 Lewis, Bernard. "The Muslim Discovery of Europe", ***Bulletin of the School of Oriental and African Studies*** 20.1 (1957): 409-416, p. 410.

9 ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص155.

10 Lewis, The Muslim Discovery, p. 410.

11 Hermes, Nizar, ***The [European] Other in Medieval Arabic Literature and Culture: Ninth-Twelfth Century AD***, (Springer, 2012), p. 78.

12 König, Daniel G., ***Arabic-Islamic Views of the Latin West, Tracing the Emergence of Medieval Europe***, (Oxford, Oxford University Press, 2015), p. 277.

13 Britannica, "Offa", Encyclopedia Britannica, 27 Jun. 2022, https://www.britannica.com/biography/Offa-Anglo-Saxon-king . Accessed 07 December 2022.

14 للمزيد عن هذه الملك والجدل حول الدينار الذي أمر بسكه انظر: الكناني، مصطفى حسن، ***عصر أوفا ملك إنجلترا الأنجلوساكسوني، 757 – 796م***، (الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت)، ص 105– 130.

15 انظر على سبيل المثال لا الحصر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، ***فتوح الشام***، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ / 1997م)، ج1، ص141، 150، 190، 205 – 207. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ***التيجَان في مُلوك حِمْيَرٌ***، (صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث اليمني، ط1، 1347هـ)، ص 55، 99، 144، 320. ابن خياط، خليفة بن خياط، ***تاريخ خليفة بن خياط***، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دمشق – بيروت، دار القلم– مؤسسة الرسالة، ط2، 1397هـ)، ص 315، 349. اليعقوبي، احمد بن واضح اليعقوبي، ***تاريخ اليعقوبي***، (ليدن، بريل، 1883م)، ج1، ص 177. المسعودي، علي بن الحسن، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، (بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ/ 2005م)، ج1، ص 174، 182، 266، 286.

16 الخوارزمي، صورة الأرض، ص 69.

17 يؤكد يوسف الغنيم أن كتاب عجائب الأقاليم:"... **يماثل في منهجه وفي جزء كبير من مادته العلمية كتاب صورة الأرض لمحمد بن موسى الخوارزمي ... حتى**

شك بعض الباحثين في كونه مسودة أخرى من كتاب الخوارزمي". انظر: الغنيم، عبد الله يوسف، ***المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة جامعة كامبردج***، (الكويت، مكتبة الأمل، 1420هـ/ 1999م)، ص 28.

18 سُهراب، ***كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة***، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون مزيك، (فينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1347هـ/ 1929م)، ص 46.

19 ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 231.

20 König, Arabic-Islamic Views, p. 277.

21 Green, Britain, online.

22 ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص 85.

23 البتاني، محمد بن جابر بن سنان، ***كتاب الزيج الصابئ***، تحقيق: كرلو نالينو، (روما، 1899م)، ص 25.

24 المصدر نفسه، ص 26.

25 انظر: ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص 85. وقارنه مع ابن البتاني، الزيج الصابئ، ص 26.

26 ابن البتاني، المصدر نفسه، ص7، 13، 22.

27 يرى "تومر" (Toomer) مترجم وشارح الترجمة الإنجليزية من كتاب "المجسطي" (Almagest) أن بطليموس يشير بطريقة غير مباشرة إلى جزيرة "شيتلاند" (Shetland) الأسكتلندية على أنها جزيرة "ثولي" حينما وضعها على دائرة العرض 20 درجة. انظر:

Ptolemy, Claudius, ***Almagest,*** Transl. & Annot. G. J. Toomer, (London, Duckworth, 1984), p. 89, n. 66.

28 Ptolemy, Claudius, ***The Geography***, Transl. & ed. EL. Stevenson, (Dover Publications INC, New York, 1991), pp. 29, 40-42, 44- 45, 79, 145, 160- 162.

29 De Camp, L. Sprague, ***Lost Continents: The Atlantis Theme in History, Science, and Literature***, (New York: Dover, 1970), p. 57.

30 Fotheringham, W.H.m "On the Thule of the Ancients", ***Proceedings of the Society of Antiquaries of Scotland***, (1862), pp. 491–503. Burton, Richard F., ***Ultima Thule: Or, A Summer in Iceland***, (London, Edinburgh: W.P. Nimmo, 1875), pp. 11-34.

31 الهمداني، الحسن بن أحمد، ***صفة جزيرة العرب***، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (صنعاء، دار الإرشاد، ط1، 1410هـ/ 1990م)، ص 57- 59.

32 صفة جزيرة العرب، ص 58.

33 ورد مصطلح "بريطانيا العظمى" عند الهمداني والبكري والإدريسي كمصطلح جغرافي لتمييز جزيرة بريطانيا العظمى التي تضم إنجلترا واسكتلندا وويلز عن بقية الجزر البريطانية الأصغر مساحة، كما أن الهمداني استخدم "بريطانيا الصغرى" تحديداً للإشارة إلى إيرلندا على الأرجح. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 57– 59. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ***المسالك والممالك***، تحقيق: جمال طلبة، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003م)، ج1، ص 203. الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ***نزهة المشتاق في اختراق الآفاق***، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ)، ج2، ص 869.

34 المصدر نفسه، ص 70.

35 انظر الصفحات:

Ptolemy, Almagest, pp. 87- 88, 103

36 ابن فضلان، رحلة ابن فضلان، ص 96. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل، ***صورة الأرض***، (ليدن، بريل، 1938م)، ج1، ص 15. مجهول، ***حدود العالم من المشرق إلى المغرب***، حققه وترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، (القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1423 هـ)، ص 187. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، (بيروت، دار صادر، د.ت)، ص 498.

37 Mayr-Harting, ***Henry The Coming of Christianity to Anglo-Saxon England***, (Pennsylvania State University Press, 1991), p. 50.

38 المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 59. مجهول، حدود العالم، ص 38.

39 مجهول، حدود العالم، ص 186.

40 ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، ***كتاب البلدان***، تحقيق: يوسف الهادي، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1416 هـ / 1996م)، ص 432.

41 البكري، المسالك والممالك، ج1، ص130، 149.

42 المصدر نفسه، ج2، ص 58.

43 نفسه، ج2، ص 400.

44 نفسه، ج2، ص 294.

45 هو أبوعَبد الله مُحَمَّدٌ بن مُحَمَّدٌ بن عبد الله بن إدريس بن يحيى الحسني الهاشمي ينتهي نسبه إلى إِدْرِيس بن عبد الله بن الْحسن بن الْحسن بن عَليّ بن أبي طَالب. أديب وشاعر وجغرافي ولد في سبتة عام 493 هـ/ 1100م تقريباً، ونشأ بها قبل أن ينتقل إلى قرطبة حيث عاش فيها مطلع شبابه وتلقى تعليمه هناك. بعد ذلك ارتحل على عدة بقاع حتى استقر في صقلية وألف كتابه الشهير وبقي بها حتى وفاته سنة 560 هـ / 1165م. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ***الوافي بالوفيات***، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ/ 2000م)، ج 1، 138. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ***الأعلام***، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، ج7، ص 24.

46 كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، القسم الأول، ص 285.

47 مؤنس، حسين مؤنس، ***تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس***، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1986م)، ص 240.

48 الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص 855.

49 Beeston, Alfred Felix L. "Idrisi's account of the British Isles", ***Bulletin of the School of Oriental and African Studies***, 13.2 (1950): 265-281.

50 Britannica, "Brittany", Encyclopedia Britannica, 19 Sep. 2017, https://www.britannica.com/place/Brittany-region-France. Accessed 07 December 2022.

51 نزهة المشتاق، ج2، ص 948.

52 المصدر نفسه، ج2، ص 944.

53 Beeston, Idrisi's account, p. 273.

54 نزهة المشتاق، ج2، ص 869.

55 المصدر نفسه، ج2، ص 944.

56 Beeston, Idrisi's account, p. 274.

57 نزهة المشتاق، ج2، ص 945.

58 Anonymous, *Domesday Book; Open Domesday*, (online), https://opendomesday.org/place/TQ3105/brighton/, Accessed 07 December 2022.

[59] نزهة المشتاق، ج2، ص 946.

[60] انظر ما دُوِّن في كتاب "*ونشستر*" أو "*يوم الحساب*" (Domesday Book)، وهو أقدم معجم جغرافي عن الأراضي الإنجليزية أُلف في عهد الملك "وليم الأول" (William I) عام 1086م، وكذلك " *دائرة المعارف البريطانية*" (Encyclopædia Britannica) عن تاريخ هذه المدن:
Domesday Book (online),
https://opendomesday.org/place/SJ8398/manchester/
https://opendomesday.org/place/SP0786/birmingham/
https://opendomesday.org/place/SK5739/nottingham/ Accessed 07 December 2022.

Rodgers, H.B.. "Manchester". *Encyclopedia Britannica*, 5 Jan. 2023, https://www.britannica.com/place/Manchester-England. Accessed 25 February 20 Britannica, Britannica, "Birmingham", Encyclopedia Britannica, 29 Nov. 2022, https://www.britannica.com/place/Birmingham-England. Accessed 07 December 2022.
Britannica, "Nottingham". Encyclopedia Britannica, 12 Jan. 2023, https://www.britannica.com/place/Nottingham. Accessed 07 December 2022.

[61] Beeston, Idrisi's account, p. 278.

[62] نزهة المشتاق، ج2، ص 948.

[63] هكذا كان استنتاج بيستون وجزر "سيلي" تبعد قرابة 4م كلم عن الركن الجنوبي الغربي لبريطانيا العظمى.

Beeston, Idrisi's account, p. 277.

[64] نزهة المشتاق، ج2، ص 948.

[65] والمشهور أنه لم يبقى من كتاب "أخبار الزمان" إلا مجلد واحد. نزهة المشتاق، ج2، ص 947- 948.

[66] Tolan, John, Henry Laurens, and Gilles Veinstein, ***Europe and the Islamic World: A History***, transl. Jane Marie Todd, (Princeton University Press, 2012), p. 18

[67] Barlow, Frank. "William I". Encyclopedia Britannica, 19 Jan. 2023, https://www.britannica.com/biography/William-I-king-of-England. Accessed 07 December 2022.

[68] انظر بعض ما دوّنه بعض المؤرخين المسلمين في الشام في عصر الحروب الصليبية عن ملك إنجلترا "ريتشارد الأول" الذي لقبته بملك "الانكتار"، أو ما كتبه ابن الخطيب الاندلسي عن تدخل ملك إنجلترا (صاحب الأنكتيرة) "إدوارد الثالث" (Edward III) في الحرب الأهلية بقشتالة. ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع، ***النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي***، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1415هـ /1994م)، ص 238- 274. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف، ***مرآة الزمان في تواريخ الأعيان***، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1434هـ / 2013م)، ج 22، ص 6- 12. أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، ***الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية***، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1418هـ/ 1997م)، ج4، ص 310، 329. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، ***الإحاطة في أخبار غرناطة***، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ)، ج2، ص21- 23.

المصادر والمراجع العربية

أولاً: المصادر

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (توفي 560هـ/ 1165م)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ.

ابن البتاني، محمد بن جابر بن سنان الحرّاني (توفي 317هـ/ 929م)، *كتاب الزيج الصابئ*، تحقيق: كرلو نالينو، روما، 1899م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (توفي 487هـ/ 1094م)، *المسالك والممالك*، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003م.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، (توفي بعد 367هـ/ 977م)، *صورة الأرض*، ليدن، بريل، 1938م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفي نحو 280هـ / 893م)، *المسالك والممالك*، ليدن، بريل، 1889م.

ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد الشهير بلسان الدين بن الخطيب (توفي 776هـ/ 1374م)، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ.

الخوارزمي، محمد بن موسى (توفي بعد 232هـ/ 847م)، *كتاب صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار*، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون مزيك، فينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1345هـ/ 1926م.

ابن خياط، خليفة بن خياط (توفي 240هـ/ 855م)، *تاريخ خليفة بن خياط*، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دمشق – بيروت، دار القلم- مؤسسة الرسالة، ط2، 1397هـ.

ابن رستة، أحمد بن عمر (توفي حوالي 300هـ/ 913م)، *كتاب الأعلاق النفيسة*، ليدن، بريل، 1893م.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف المشهور بسبط ابن الجوزي (654هـ/ 1256م)، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، (الجزء الثاني والعشرون) تحقيق: إبراهيم الزيبق، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1434هـ / 2013م.

سُهراب (توفي في القرن 4هـ/ 10هـ)، *كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة*، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون مزيك، فينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1347هـ/ 1929م.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (توفي 665هـ/ 1276م)، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1418هـ/ 1997م.

ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع (توفي 632هـ)، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي*، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1415هـ /1994م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (توفي 764هـ/ 1363م)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ/ 2000م.

ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد (توفي بعد 310هـ/ ٩٢٢م)، *رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة*، أبو ظبي، دار السويدي، ط1، 2003م.

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الفقيه الهمذاني (ت 365هـ/ ٩٧٦م)، *كتاب البلدان*، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1416 هـ / 1996م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (توفي 682هـ/ 1283م)، *آثار البلاد وأخبار العباد*، بيروت، دار صادر، د.ت.

مجهول، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، حققه وترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1423 هـ.

المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين (توفي 346هـ/ 957م)، *التنبيه والإشراف*، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، دار الصاوي، 1357هـ/ 1938م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ/ 2005م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (توفي 213هـ/ 828م)، *التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ*، صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث اليمني، ط1، 1347هـ.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (توفي 334هـ/ 946م)، *صفة جزيرة العرب*، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صنعاء، دار الإرشاد، ط1، 1410هـ/ 1990م.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (توفي 207هـ/ 823م)، *فتوح الشام*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ / 1997م.

اليعقوبي، احمد بن واضح بن يعقوب (توفي بعد 292هـ/ ٩٠٥م)، *تاريخ اليعقوبي*، ليدن، بريل، 1883م.

ثانياً: المراجع العربية والمعرّبة

الزركلي، خير الدين بن محمود (توفي 1396هـ/ 1976م)، *الأعلام*، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

العظمة، عزيز العظمة، *العرب والبرابرة المسلمون والحضارات الأخرى*، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 1991م.

الغنيم، عبد الله يوسف، *المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة جامعة كامبردج*، الكويت، مكتبة الأمل، 1420هـ/ 1999م.

كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش (توفي 1370هـ/ 1951م)، *تاريخ الأدب الجغرافي العربي*، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د.ت.

الكناني، مصطفى حسن، *عصر أوفا ملك إنجلترا الأنجلوساكسوني، 757 – 796م*، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت.

مؤنس، حسين مؤنس (توفي 1416هـ/ 1996م)، *تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس*، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1986م.

Bibliography

al-knānī, mṣṭfi ḥsn, ʿṣr aūfā mlk inğltrā al-ʾanğlūsāksūnī, 757 –796, al-iskndrīẗ, mnšʾaẗ al-mʿārf, d.t.

ʾabū shāmẗ, abū al-qāsm šhāb al-dīn ʿbd al-rḥmn bn ismāʿīl al-dmšqī (tūfī 665H./ 1276), al-rūḍtīn fī aẖbār al-dūltīn al-nūrīẗ walṣlāḥīẗ, tḥqīq: ibrāhīm al-zībq, bīrūt, muʾssẗ al-rsalẗ, ṭ1, 1418H./ 1997.

al-bkrī, abū ʿbīd ʿbd al-lh bn ʿbd al-ʿzīz al-bkrī (tūfī 487h./ 1094m), al-msalk walmmalk, tḥqīq: ğmal ṭlbẗ, bīrūt, dār al-ktb al-ʿlmīẗ, 1424H./ 2003.

al-ġnīm, ʿbd al-lh īūsf, al-mẖṭūṭāt al-ğġrāfīẗ al-ʿrbīẗ fī al-mktbẗ al-brīṭānīẗ ūmktbẗ ğāmʿẗ kāmbrdğ, al-kwyt, mktbẗ al-ʾaml, 1420H./ 1999.

al-hmdānī, abū mḥmd al-ḥsn bn aḥmd bn īʿqūb (tūfī 334h./ 946m), ṣfẗ ğzīrẗ al-ʿrb, tḥqīq: mḥmd bn ʿlī al-ʾakūʿ, ṣnʿāʾ, dār al-iršād, ṭ1, 1410H./ 1990.

al-idrīsī, mḥmd bn mḥmd bn ʿbd al-lh bn idrīs (tūfī 560h./ 1165m), nzhẗ al-mštāq fī aẖtrāq al-ʾāfāq, bīrūt, ʿalm al-ktb, ṭ1, 1409H.

al-khwārzmī, mḥmd bn mūsi (tūfī bʿd 232H./ 847), ktāb ṣūrẗ al-ʾarḍ mn al-mdn walğbal walbḥār walğzāʾir walʾanhār, aʿtni bnsẖh ūtṣḥīḥh: hāns fūn mzīk, fīnā, mṭbʿẗ adūlf hūlz hūzn, 1345H./ 1926.

al-msʿūdī, abū al-ḥsn ʿli bn al-ḥsīn (tūfī 346h./ 957m), al-tnbīh wališrāf, tḥqīq: ʿbd al-lh ismāʿīl al-ṣāwy, al-qāhrẗ, dār al-ṣāwy, 1357H./ 1938.

al-msʿūdī, abū al-ḥsn ʿlī bn al-ḥsn, mrūğ al-ḏhb ūmʿādn al-ğūhr, bīrūt, al-mktbẗ al-ʿṣrīẗ, ṭ1, 1425H./ 2005.

ibn khīāṭ, ẖlīfẗ bn ẖīāṭ (tūfī 240h./ 855m), tārīẖ ẖlīfẗ bn ẖīāṭ, tḥqīq: akrm ḍīāʾ al-ʿmrī, dmšq - bīrūt, dār al-qlm- muʾssẗ al-rsalẗ, ṭ2, 1397H.
ibn rusta, aḥmd bn ʿmr (tūfī ḥwalī 300h./ 913m), ktāb al-ʾaʿlāq al-nfīsẗ, līdn, brīl, 1893m.
ibn šdād, bhāʾ al-dīn īūsf bn rāfʿ (tūfī 632h.), al-nwādr al-slṭānīẗ walmḥāsn al-īūsfīẗ al-mʿrūf bsīrẗ ṣlāḥ al-dīn al-ʾaīūbī, tḥqīq: al-dktūr ğmal al-dīn al-šīal, al-qāhrẗ, mktbẗ al-ẖānğī, ṭ1, 1415h. /1994m.
krātškūfskī, iġnāṭīūs īūlīānūftš (tūfī 1370H./ 1951), tārīẖ al-ʾadb al-ğġrāfī al-ʿrbī, trğmẗ: ṣlāḥ al-dīn ʿṯmān hāšm, al-qāhrẗ, al-idārẗ al-ṯqāfīẗ fī ğāmʿẗ al-dūl al-ʿrbīẗ, d.t.
mğhūl, ḥdūd al-ʿalm mn al-mšrq ili al-mġrb, ḥqqh ūtrğmh ʿn al-fārsīẗ: al-sīd īūsf al-hādī, al-qāhrẗ, al-dār al-ṯqāfīẗ llnšr, 1423 H.
muʾns, ḥsīn muʾns (tūfī 1416H./ 1996m), tārīẖ al-ğġrāfīẗ walğġrāfyin fī al-ʾandls, al-qāhrẗ, mktbẗ mdbūlī, ṭ2, 1986.
sbṭ ibn al-ğūzī, šms al-dīn abū al-mẓfr īūsf al-mšhūr bsbṭ abn al-ğūzī (654h./ 1256m), mrʾāẗ al-zmān fī twārīẖ al-ʾaʿīān, (alğzʾ al-ṯānī walʿšrūn) tḥqīq: ibrāhīm al-zībq, dmšq, dār al-rsalẗ al-ʿalmīẗ, ṭ1, 1434H. / 2013.
suhrāb (tūfī fī al-qrn 4h./ 10h.), ktāb ʿğāʾib al-ʾaqalīm al-sbʿẗ ili nhāīẗ al-ʿmārẗ, aʿtni bnsẖh ūtṣḥīḥh: hāns fūn mzīk, fīnā, mṭbʿẗ adūlf hūlz hūzn, 1347H/ 1929.
Digital Bodleian
https://digital.bodleian.ox.ac.uk/
Beeston, Alfred Felix L. "Idrisi's account of the British Isles", Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 13.2 (1950).
Burton, Richard F., Ultima Thule: Or, A Summer in Iceland, (London, Edinburgh: W.P. Nimmo, 1875).
De Camp, L. Sprague, Lost Continents: The Atlantis Theme in History, Science, and Literature, (New York: Dover, 1970).
Domesday Book https://opendomesday.org
Dunlop, Douglas M. "The British Isles according to medieval Arabic authors", The Islamic Quarterly 4 (1957).
al-qzwynī, zkrīā bn mḥmd bn mḥmūd (tūfī 682H./ 1283), aṯār al-blād ūʾaẖbār al-ʿbād, bīrūt, dār ṣādr, d.t.
al-ṣfdī, ṣlāḥ al-dīn ẖlīl bn aībk bn ʿbd al-lh (tūfī 764H./ 1363), al-wāfī balūfīāt, tḥqīq: aḥmd al-ʾarnāuʾūṭ ūtrkī mṣṭfi, bīrūt, dār iḥīāʾ al-trāṯ, 1420H./ 2000.
al-wāqdī, mḥmd bn ʿmr bn wāqd (tūfī 207h./ 823m), ftūḥ al-šām, bīrūt, dār al-ktb al-ʿlmīẗ, ṭ1, 1417H. / 1997.
al-yʿqūbī, aḥmd bn wāḍḥ bn īʿqūb (tūfī bʿd 292H./ 905), tārīẖ al-īʿqūbī, līdn, brīl, 1883.
al-ʿẓmẗ, ʿzīz al-ʿẓmẗ, al-ʿrb walbrābrẗ al-mslmūn walḥḍārāt al-ʾaẖri, rīāḍ al-rīs llktb walnšr, ṭ1, 1991.
al-zrklī, ẖīr al-dīn bn mḥmūd (tūfī 1396h./ 1976m), al-ʾaʿlām, bīrūt, dār al-ʿlm llmlāyin, ṭ15, 2002.
ibn al-btānī, mḥmd bn ğābr bn snān al-ḥrwānī (tūfī 317h./ 929m), ktāb al-zīğ al-ṣābʾi, tḥqīq: krlū nalīnū, rūmā, 1899.
ibn al-fqīh, abū ʿbd al-lh aḥmd bn mḥmd bn al-fqīh al-hmḏānī (t 365H./ 976), ktāb al-bldān, tḥqīq: īūsf al-hādī, bīrūt, ʿalm al-ktb, ṭ1, 1416 H. / 1996.
ibn al-ẖṭīb, mḥmd bn ʿbd al-lh bn sʿīd al-šhīr blsān al-dīn bn al-ẖṭīb (tūfī 776h./ 1374m), al-iḥāṭẗ fī aẖbār ġrnāṭẗ, bīrūt, dār al-ktb al-ʿlmīẗ, ṭ1, 1424H.
ibn fḍlān, aḥmd bn fḍlān bn al-ʿbās bn rāšd (tūfī bʿd 310H./ 922), rḥlẗ abn fḍlān ili blād al-trk walrūs walṣqalbẗ, abū ẓbī, dār al-swydī, ṭ1, 2003.
ibn ẖrdāḏbẗ, abū al-qāsm ʿbīd al-lh bn ʿbd al-lh (tūfī nḥū 280H. / 893), al-msalk walmmalk, līdn, brīl, 1889.
• ibn hšām, ʿbd al-mlk bn hšām bn aīūb al-ḥmīrī (tūfī 213h./ 828m), al-tīğān fī mulūk ḥimīar̊, ṣnʿāʾ, mrkz al-drāsāt walʾabḥāṯ al-īmnī, ṭ1, 1347H.
ibn ḥūql, abū al-qāsm mḥmd bn ḥūql al-nṣībī, (tūfī bʿd 367h./ 977m), ṣūrẗ al-ʾarḍ, līdn, brīl, 1938m.

Europe, (Oxford, Oxford University Press, 2015).
Lewis, Bernard. "The Muslim Discovery of Europe", Bulletin of the School of Oriental and African Studies 20.1 (1957).
Mayr-Harting, Henry The Coming of Christianity to Anglo-Saxon England, (Pennsylvania State University Press, 1991).
Ptolemy, Claudius, Almagest, Transl. & Annot. G. J. Toomer, (London, Duckworth, 1984).
Ptolemy, Claudius, The Geography, Transl. & ed. EL. Stevenson, (Dover Publications INC, New York, 1991).
Tolan, John, Henry Laurens, and Gilles Veinstein, Europe and the Islamic World: A History, transl. Jane Marie Todd, (Princeton University Press, 2012).
Encyclopedia Britannica https://www.britannica.com
Fotheringham, W.H.m "On the Thule of the Ancients", Proceedings of the Society of Antiquaries of Scotland, (1862).
Green, Caitlin, Britain, the Byzantine Empire, and the concept of an Anglo-Saxon 'Heptarchy': Harun ibn Yahya's ninth-century Arabic description of Britain. Online, https://www.caitlingreen.org/2016/04/heptarchy-harun-ibn-yahya.html
Hermes, Nizar, The [European] Other in Medieval Arabic Literature and Culture: Ninth-Twelfth Century AD, (Springer, 2012).
König, Daniel G., Arabic-Islamic Views of the Latin West, Tracing the Emergence of Medieval